لقد سيطر على الوطن العربي حتى الخامس من حزيران منطقان لتحرير فلسطين . احدهما القائل بأن الحزب القومي الشامل هو القادر على تحقيق الوحدة العربية ومن ثم تحرير فلسطين كنتيجة للوحدة. ومنطق آخر يقول أن الدولة صاحبة الامكانيات الواسعة في ظل قائد فذ ملهم تعطيه الجماهير تأييدها وثقتها المطلقة يمكن ان يحقق الوحدة العربية بداية وتحرير فلسطين انتهاء . ان كلا المنطقين رغم اختلافهما طرحا صيغة خاطئة تلتقي في نقطتين اولاهما ان معالجة التناقض الاساسي الاكبر والاهم مع الصهيونية يجب الهرب منها بحجة الاستعداد وخلق الوحدة التي لا يمكن ان تتم الا من خلال مواجهة العائق الاساسي أمامها . وثانيهما اذابة الشخصية الفلسطينية داخل الاطار القومي بحجة قومية وعروبة المعركة . (فتح) طالبت بالعودة الى المنطلق ، الى الساحة الاساسية التاريخية ، فتحرير فلسطين هو المنطلق الذي يزيل اداة التهديم التي اعدت لضرب كل قوة ثورية تسعى لحل مشاكل الامة العربية في الوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية ، ورفضت (فتح) مصادرة الذات الفلسطينية وذوبانها في الدائرة الاوسع ، الدائرة القومية . وهي فعلت ذلك ليس ارتدادا ورفضا للبعد العروبي للقضية ، وانما تأكيدا له . فبدون الفلسطينيين تفقد الثورة صفتها التحررية القطرية الاساسية وتبدو القضية عالميا وكأنها نزاع بين الدول العربية واسرائيل الامر الذي يسلب الثورة احد اركان الثالوث اللازم لخوض اي حرب ، الرأي العام العالمي(١)، يضاف الى ذلك نقطة هي الاساس والاهم من سابقتها ، وهي أن الفلسطينيين ، بسبب المعاناة وحالة الاغتراب والضياع والالم ، يشكلون نبعا غنيا للثورة والعطاء ، ومن هنا فان اذابة هذا القطاع ومصادرة اسمه وكيانه يعني بالنتيجة سلب الامة العربية قضيتها التاريخية الوحيدة من فعاليتها والابقاء على جانب البؤس السلبي فيها . الحقيقة التاريخية لا تتحول الى واقع من خلال التعميمات العريضة وانما من خلال سياق الاحداث المعقدة . هكذا تقول الممارسة ، المعلم الكبير للحركات الثورية . ومن جملة التعميمات العريضة التي تجعل العربي يبني أوهاما كبيرة على قواه ، القول بأن مائة مليون عربي يخوضون معركة مع الصهيونيين في فلسطين ، وهذا كلام نظري يحتاج الى تجسيد . بل ان التحدي المضاد الذي توجده الصهيونية هو القدرة على تعبئة القوى وتطويرها الى طريق عمل وكفاح .

ان البعد العروبي والعمق الثوري الشعبي مفهومان لا يجسدهما عدد المواطنين العرب ولا مساحة الارض العربية من المحيط الى الخليج ، بل يجسدهما عدد العرب المزجوج بهم في معمعان ممارسة الكفاح المسلح ، وبالمساحة التي يعيش عليها شعب واع ومنظم ومسلح ، يحمي مؤخرة قواته المركزة عندما يهاجم ، وينحول الى محيط ثوري يغرق به العدو عندما تقتحم حدوده ، أي بالدائرة الجماهيرية التي تحولت ارادتها ومساهمتها النضالية من سلبية الى ايجابية . ان حرب الخامس من حزيران لم تكن حرب الجماهير الشعبية المسلحة المنظمة والواعية وانما كانت حرب مئات الالوف الموضوعة تحت السلاح من الجيوش النظامية . اما عشرات الملايين الاخرى فلم يكن امامها الا الجلوس الى الراديو والبكاء والنحيب ومن ثم الاستسلام .

ان فكر (فتح) في هذه النقطة بالذات يجمع بين الموقف الجذري من حيث المبدأ العام ويتجنب الغموض من حيث الاستنتاجات العملية . ففي بيان التوقيت نجد (ان الحدود الاقليمية بين الاقطار العربية ستزول من خلال التجربة المسلحة ، وسوف تتخطاها القوى الثورية لتتصل ببعضها بعضا كشرط اساسي لحماية الارض العربية وخاصة في المواقع الجغرافية التي لا تتوفر لديها الحماية العسكرية اللازمة ... ان

١ ــ الثالوث ، هو : اسلوب الحرب الملائم ، التعبئة الشعبية القصوى ، الرأي العام العالمي .